

# أسباب البرع

ومضاهيها

لشيخ الجليل

محمود شلتوت

شيخ الأزهر - سابقاً

تحقيق

عبدالأفرح مساد

دار الجيمل

بيروت



0156297



اَسْبَابُ الْبِرِّ  
وَصِفَاتُهَا





جميع الحقوق محفوظة للنّاشِر

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان الحمد لله نحسبه ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ  
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله  
فلا مضل له ومن بضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله  
الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد : فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى  
هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل  
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعد :

✽ فان الله قد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم  
بالحدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره  
المشركون ، وأنهم الله نوره وأكمل هذا الدين « اليوم  
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم  
الاسلام ديناً . » [ المائدة ٣ ] فما قبض الله رسوله صلى

الله عليه وسلم حتى أقام به الملة العوجاء ؛ بأن قال الناس  
لا إله إلا الله ففتح به قلوبنا غلظا وآذاننا صما وأعينا عميا •

❦ وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بابا من  
الخير إلا وأمرنا به ولا بابا من الشر إلا ونهانا عنه : فكان  
مما نهى عنه صلى الله عليه وسلم الابتداع في الدين واتباع  
مستحدثات الأمور فهو القائل : « من أحدث في أمرنا هذا  
ما ليس منه فهو رد » متفق عليه •

وهو القائل : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين  
المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات  
الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي  
وقال حسن صحيح •

وروى البخاري في صحيحه ( ٦٥٧٦ ) عن عبد الله  
رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنا فرطكم  
على الحوض ويدفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول:  
يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك •



✽ ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صحابته للعهد حافظين لكن وقعت في أواخر عصرهم الفتن فكانت عاملا رئيسيا في ظهور البدع :

قال ابن أبي العز<sup>(١)</sup> رحمه الله « هذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة كما ذكر البخارى في صحيحه عن سعيد بن المسبب قال : وقعت الفتنة الأولى ( يعنى مقتل عثمان ) فلم تبق من أصحاب بدر أحدا ، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديبية أحدا ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ - أى عقل وقوة .

فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يقابلون البدعة بالبدعة : أولئك غلوا في على وأولئك كفروه ، وأولئك غلوا في الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين ،

---

(١) شارح العقيدة الطحاوية .

وأولئك غلوا في الوعد حتى نقوا بعض الوعيد — أغنى  
المرجئة .....» (٢) \*

\* وإزاء ذلك كله وقف صحابة رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يذودون عن الحق الذي أخذوه عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم :

— أخرج الدرامي أن أبا موسى الأشعري قال لابن  
مسعود : انى رأيت فى المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون  
الصلاة فى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصى ، فيقول كبروا  
مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة فيقول :  
سبحوا مائة فيسبحون مائة ، قال أفلا أمرتهم أن يعبدوا  
سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شىء \* ثم  
أتى حلقة من تلك الحلقة \*

فوقف عليهم فقال : ما هذا الذى أراكم تصنعون ؟

قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير  
 والتهليل والتسبيح والتحميد • قال فعدوا سيئاتكم فأنا  
 ضامن من أن لا يضيع من حسناتكم شيء • ويحكم  
 يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء أصحابه متوافرون •  
 وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر • والذي نفسى بيده  
 انكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد أو مفتتحوا باب  
 ضلالة !

قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير •  
 قال وكم من مرید للخير لن يصيبه •••» (٣) الحديث •

— وروى الدرামী أيضا عن عبد الله بن مسعود  
 قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتمكم » (٤) •

---

(٣) قال الألبانى فى تخريجه لأحاديث كتاب اصلاح  
 المساجد للقاسمى : اسنده صحيح .

(٤) صححه الألبانى أيضا فى المصدر السابق ،

— وعن ابن عمر قال : « كل بدعة ضلالة وإن رآها  
الناس حسنة » (٥) •

✽ ثم جاء عصر التابعين ومن بعدهم وزادت البدع  
واتشربت فقام أهل الحق يحذرون من البدع وأهلها  
ويلقون في سبيل ذلك ما يلقون •

— جاء في مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين  
رحمه الله أنه قال : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما  
وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل  
السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ  
حديثهم » •

— وخرج ابن وهب عن أبي إدريس الخولاني أنه  
قال : « لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها أحب

---

(٥) قال الألباني : صحيح الاستاذ المصدر السابق.

الى من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها» (٦) ♦

— وعن الفضيل بن عياض : « اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين » (٧) ♦

— وعن الحسن : « لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك » (٨) ♦

— وعن يحيى بن أبي كثير قال : « اذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر » (٩) ♦

— وعن ابن المبارك قال : « اعلم أخى أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة فانا لله وانا اليه راجعون ، فالى الله نشكو وحشتنا وذهاب الاخوان وقلة الأعوان وظهور البدع » (١٠) ♦

✽ وهكذا اشتد نكير السلف الصالح من الصحابة

---

(٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، راجع هذه الآثار في الاعتصام ج-١ ص ٥٧ وما بعدها .

ومن بعدهم على أهل البدع والأهواء وذلك لعلمهم ما في طريق البدع من مخالفة لطريق الرسول صلى الله عليه وسلم ولعلمهم أن الزائد في شرع الله ما ليس منه واقع في أحد أمرين : فاما أنه يرى أن هذه الزيادة من الدين ولكن لم يبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم فكأنه يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خان الأمانة ولم يمثل لأمر الله له « يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » !!! ، واما أنه يرى أن هذه الزيادة ليست من الدين لكنه يستحسنها فكأنه نصب من نفسه مشرعا يشرع لنفسه ما شاء .

فالأمر الأول فهمناه من قول الامام مالك رحمه الله :  
 « من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ... » (١١) .  
 والأمر الثاني فهمناه من قول الشافعي رحمه الله :  
 « من استحسن فقد شرع » (١٢) .

---

(١١) ، (١٢) ، سيأتي هذان الاثران في ثنايا البحث .

✽ وعلى ذلك كأن من مهام أهل الحق في كل زمان أن يحيوا السنة وأن يمتتوا البدعة ومن أجل ذلك كان العزم على اخراج هذه الرسالة للشيخ محمود شلتوت رحمه الله : والشيخ رحمه الله - على ما لنا عليه من مآخذ في بعض الأمور<sup>(١٣)</sup> - كان من أبرز الدعاة الى نبذ البدع والخرافات والعودة الى ما كان عليه الرسول الكريم والسلف الصالح رضوان الله عليهم .

— ثم انه لا يخفى ما لهذه الرسالة من أثر طيب : من حيث ان الناس يثقون في قول علماء الأزهر ويعتدون به : فنحن نقول لهم هذا قول واحد من شيوخ الأزهر يحارب البدع وينكرها ويبين الأدلة على ذلك فهلا اتبعتم قوله ؟

✽ بقيت نقطة أخيرة وهي أن كثيرا من الدعاة

---

(١٣) تراجع أراؤه في رفع المسيح ونزوله آخر الزمان في كتاب الفتاوى له رحمه الله .

يعتبرون الحديث فى البدعة حديثا فى الأمور الخلافية التى  
ما يصح أن نثيرها على الناس وأن مهمتنا أن نجتمع الناس  
لا أن نفرقهم •

ولهؤلاء نقول : ان ما ذكره العلماء من ترك الانكار  
فى الأمور الخلافية انما هو فى مسائل الأحكام التى كان  
لكل مجتهد فيها دليله الذى يستدل به ، وحتى فى هذه  
الحالة فقد استثنى النووي رحمه الله من ترك الانكار  
أن يكون الخلاف ضعيفا أما فى مسائل البدع التى أحدثها  
الناس ولم تكن على عصر السلف الصالح فما أدرى ما هو  
الخلاف المعتبر الذى لأجله تترك الانكار •

فمثلا هذه الأمور الشريكية التى تحدث عند قبور  
من يعتقد فيهم الناس الولاية والصلاح من دعاء هؤلاء  
الموتى والطواف بقبورهم والنذر لهم والاعتقاد فى أنهم  
ينفعون أو يضررون • كل هذه الأمور ورد النهى عنها عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل بجوازها واحد



من السلف ولا ذكر للعلماء خلاف فيها حتى تقول انها مسائل خلافة •

فكيف تترك بيان الحق وتوضيحه خوفا من ثورة العامة وسخطهم ونحن نعلم أن رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » (١٤) •

فهذه أمور عقيدة أمور كفر وإيمان لا بد من بيانها للناس ولا يصح السكوت عليها بل السكوت عليها مخالفة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (١٥) •

---

(١٤) رواه القضاى فى مسند الشهاب وابن عساكر وقال الألبانى فى تخريج شرح الطحاوية : اسناده حسن •  
(١٥) رواه مسلم •

ونقول لهؤلاء انه لا بد أن يكون التجميع على عقيدة صحيحة ومنهج صحيح أما أن يكون التجميع لغرض التجميع فهذا ما لم نجد له سنداً من كتاب ولا سنة ولا قول للسلف \*

\* لكن لا يفهم من ذلك أن دعوة الداعية يجب أن تكون منحصرة في رد بعض البدع التي يحدثها الناس ويعتبر أن ذلك هو كل واجبه فالحق أن الدعوة لدين الله عز وجل تشمل الدعوة للإسلام كل الإسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق فالإسلام أشمل من أن يكتفى المرء بجزئية فيه يرى أنها هي الدين . \*

ونعني بذلك أنه في الوقت الذي ندعوه فيه الى احياء السنن وامامة البدع يجب أن نعلم أنه مما يجب احيائه أن يحكم الناس بشرع الله عز وجل وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله عز وجل \*\*\*\*\* وهكذا \*

فكل أولئك من الإسلام بل كل ذلك يدخل في احياء  
السنة وامامة البدعة والله تعالى أعلم بالصواب وهو الهادي  
الى سواء السبيل \*

كتبه

عبد الآخر حماد محمد

أسيوط في الثالث من رجب ١٤٠٦

الموافق ١٢ أبريل ١٩٨٦

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى<sup>(١)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع،

---

(١) لفظة روى من صيغ التمريض لذا فانه يصدر بها الحديث الضعيف أو الموضوع ولا يصدر بها الحديث الصحيح كما نبه على ذلك علماء الحديث :

يقول ابن كثير في اختصار علوم الحديث : « واذا عزوته - أى الضعيف - الى النبي صلى الله عليه وسلم من غير اسناد فلا تقل : قال صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وما أشبه ذلك من الألفاظ الجازمة بل بصيغة التمريض وكذا فيما يشك في صحته أيضا » .

ويقول العلامة أحمد شاكر في شرح ذلك « من نقل حديثا صحيحا بغير اسناده ، وجب أن يذكره بصيغة الجزم فيقول مثلا قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبح جدا أن يذكره بصيغة التمريض التي تسعّر بضعف الحديث ثلثا يقع في نفس القارئ أو السامع أنه حديث غير صحيح » .

[ راجع الباعث الحثيث ص ٧٦ ]

ومن أشهر تلك الأحاديث : « من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد »<sup>(١)</sup> . وترجع البسطة في واقعها الى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة ، فهي أولا خاصة بما يتعبد به • واذن فلا ابتداع في العادات<sup>(٢)</sup> ولا في الصناعات ولا في وسائل الحياة العامة •

---

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها لكن المفظ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [ البخاري « ٢٦٩٧ » ، مسلم : كتاب الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ] .  
وفي رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

(٣) عرف النساطبي في الاعتصام البدعة بأنها « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » .

قال : وهذا على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعة وانما يخصها بالعبادات وأما على رأى من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة في

ان الابتداع في الدين له أسباب توقع فيه ، ومضار

الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها  
ما يقصد بالطريقة الشرعية » .

[ الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ١٩ ]

ويظهر من التعريف الأخير أن أمور العادات قد تدخل  
في معنى البدعة اذا قصد بها صاحبها اتخاذها ديناً يعبد  
الله به .

ثم ان الشاطبي ذكر في الجزء الثاني امكانية دخول  
العادات في معنى البدع بأوضح من هذا فقال : « واما  
العادية فقد اقتضى النظر وقوع الخلاف فيها وامثلتها  
ظاهرة مما تقدم في تقسيم البدع كالمكوس والمحدثات من المظالم  
وتقديم الجهال على العلماء في الولايات العلمية وتولية  
المناصب الشريفة من ليس لها بأهل بطريق الورانة واقامة  
صور الأئمة وولاية الأمور والقضاة » .

وذكر أموراً أخرى ثم قال « وأشبه ذلك من الأمور  
التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح فانها أمور  
جرت في اناس وكثر العمل بها وشاعت وذاعت فلحقت  
بالبدع وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الأمة وهذا  
من الأدلة الدالة على ما قلنا ، واليه مال القرافي وشيخه  
ابن عبد السلام وذهب اليه بعض السلف .

[ الاعتصام ج ٢ ص ٦٣ ]

تترتب عليه ، وشأن العاقل اذا عرف مضارا لحظة ما ، أن  
يجتهد في ابعاد نفسه عنها ، ويجعل بينه وبين الوقوع في  
أسبابها المفضية اليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها .

ونعقد لذلك فصلان : أحدهما في بيان الأسباب التي  
توقع في الابتداع وفي انتشار البدع ، والأخرى في بيان  
المضار التي تترتب على الابتداع والعمل بالبدعة .

## الفصل الأول في أسباب الابتداع

لا بد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة لا يعتريها  
نقص ، سلبية لا يلحقها تحريف ، من أن تعنى بمعرفة  
النوافذ التي يشرب منها الخلل الى الشرائع فتسدها  
وتحكم غلقها ، وبخاصة اذا كانت هذه الشريعة قد جاءت  
على أساس من العموم لتنظم شعوبا تختلف ألسنتها ،  
وتتباين عاداتها ، وتتعدد دياناتها التي كانت عليها من قبل .

وهكذا فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في  
شريعته المطهرة ، فقدّر وهو في أول مراحلها ، عليه الصلاة  
والسلام ، المداخل التي يمكن أن ينفذ منها الخلل اليها  
وينتشر فنعى عنها ، وحذر منها وبالع في النكير على من  
حام حولها .



وقد رأينا بعد الاستقراء أن المداخل الموقعة في البدعة ، منها ما يوقع في ابتداعها ، ومنها ما يوقع في العمل بها وانتشارها وأن الشريعة غنيت بالأمرين وأشارت الى أسباب كل منهما ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذي لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها وظل الدين نقيا سليما كما شرعه الله ، وكما بلغه رسوله ، ودرج عليه الأصحاب من بعده •



يرجع الابتداع الى أسباب ثلاثة :  
 (أ) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها •

(ب) متابعة الهوى في الأحكام •

(ج) تحسين الظن بالعقل في الشرعيات •

### الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها :

مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة رسوله ، وما ألحق بهما من الاجماع والقياس ، والأصل في هذه المصادر الذى يحكم على سائرهما هو كتاب الله وتلييه السنة ، ثم الاجماع ، ثم القياس ، والقياس لا يرجع اليه في أحكام العبادات ؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم في الأصل معلولا بمعنى يوجد في غيره ، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع الى الجهل بالسنة ، والى الجهل بمحل القياس ، والى الجهل بأساليب اللغة العربية ، والى الجهل بمرتبة القياس أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول اهدار الأحكام التى صحت بها أحاديث • كما يترتب على الثانى اهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها • واحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث « ان الله لا يقبض

العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم  
 قبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء  
 جهلاً فاستلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» (٤) وجاء  
 فيه أيضاً حديث « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلى إلا كان  
 له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون  
 بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ،  
 ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ،  
 ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو  
 مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (٥) .

---

(٤) رواه البخارى ( ١٠٠ ) من حديث عبد الله  
 بن عمرو بن العاص رضى الله عنه مرفوعاً بلفظ « أن الله  
 لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم  
 قبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء  
 جهلاً فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » . ورواه  
 مسلم بنحوه [ مسلم : كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه  
 وظهور الجهل والفتن آخر الزمان ] .  
 (٥) رواه مسلم باختلاف يسير في بعض الفاظه من  
 حديث ابن مسعود رضى الله عنه .  
 [ كتاب الإيمان : باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان ]

وأما الجهل بمحل القياس في التشريع ، فقد نشأ عنه أيضا أن قاس الناس من متأخري الفقهاء في العبادات وأثبتوا به في الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة الى عمله وعدم المانع منه ، ومن ذلك اسقاط الصلاة ، فان أصحابها قاسوها على فدية الصوم التي ورد النص بها ، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها •

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع ، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لاسقاط تكاليف الحكم المبتدع ، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال في اسقاطها من الدين — ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة — يخرجان من عهدة التكليف ، ويترتب عليهما ثواب الله الذي أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات •

وهذا نوع خاص من البدعة :

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية ، فقد نشأ عنه أن

فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا في احداث ما لا يعرفه الأولون ، ومن ذلك قول بعض الناس ان حديث . « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » <sup>(٦)</sup> بطلب الصلاة على النبي من المؤذن عقب الأذان ، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان ، وهي الجهر ، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة ، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين ، والمؤذن داخل فيهم ، أو بأن قوله ( اذا سمعتم ) يتناوله لأنه يسمع نفسه ، وكلا التاويلين جهل بأساليب اللغة في مثل هذا ، فصدر الحديث

---

(٦) رواه مسلم ( كتاب الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن اكون أنا . هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

لم يتناول المؤذن قطعاً<sup>(٧)</sup> ، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضاً . ومن ذلك أيضاً ما يزعمه بعض آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه ؛ لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم ، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة « اللحم » في اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس . ومنه أيضاً قول بعض المتكلمين ان لله ( جنباً ) بدليل قوله تعالى « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لا تعرف « الجنب » في مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهي تقول : هذا يصغر في جنب ذلك تريد بالاضافة اليه . قال الامام الرازي في تفسيره : « القائلون باثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على اثبات الجنب بهذه الآية ، واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة في الاعادة : وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب

---

(٧) اذ انه لو تناوله لكان المؤذن مطالباً بأن يقول مثلما قال في الاذان أى يكرر الاذان مرة أخرى .

قال : وأعلم أن الاكثار من هذه العبارات لا يفيد شرح  
الصدور وشفاء الغليل فنقول : الجنب سمي جنبا لأنه  
جانب من جواب الشيء ، والشيء الذى يكون من لوازم  
الشيء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه . فما  
حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذى هو العضو ، وبين  
ما يكون لازما للشيء وتابعا له صح الاطلاق ، ولا جرم  
من اطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال  
الشاعر :

أما تتقين الله في جنب وامق  
له كبد حرى عليك تقطع

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداء  
من جهة الجهل باللغة العربية : مفرداتها وأساليبها ، وقد  
أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب  
والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز  
الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها .

وأما الجهل بمرتبة القياس في مصادر التشريع وهي التأخر عن السنة ، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوقعوا في البدعة ، والمتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع ، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام عقب الآذان مع وجود السنة التركية التي قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القياس ، ومع أن حديث « اذا سمعتم المؤذن » يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الآذان .

### متابعة الهوى في الأحكام :

قد يكون الناظر في الأدلة ممن تملكهم الأهواء فتدفعه الى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه ثم يأخذ في تلمس الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به ، وهذا في الواقع يجعل الهوى أصلاً تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وافساد لغرض الشارع من نصب الأدلة . ومتابعة الهوى أصل الزينغ



عن سراط الله المستقيم » ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله « (٨) وقد جاء في الصحيح ( لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ) (٩) والابتداع به يكثر عند أرباب المطاعم في خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التي نراها منسوبة الى الدين - والدين منها برىء - يرجع الى هذا ، ولا يبعد

#### (٨) القصص : ٥٠

(٩) رواه الحافظ ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٥) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا وذكره النووي في الأربعين النووية (٤١) وقال : حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح .

وذكر ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم أنه رواه أبو نعيم في كتاب الأربعين والحافظ أبو بكر بن عاصم الاصبهاني ثم قال : تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه ثم ذكر هذه الوجوه .

وقال الشيخ الألباني في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم : اسناده ضعيف ، رحاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيفه لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم ،

أن يكون منه الأذان السلطاني<sup>(١٠)</sup> ونحوه من البدع التي لم نرها الا في صلاة الملوك والسلاطين ، وكذلك بدعة المحمل<sup>(١١)</sup> ، وبدعة الاجتماع لاهياء بعض الليالي وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب اليه ،

---

(١٠) ذكر الشيخ على محفوظ في كتاب « الابداع في مضار الابتداع » أن أول من أحدث الأذان السلطاني هو هشام بن عبد الملك ، وهو الأذان الذي يؤذن فيه جماعة من المؤذنين معا وفي صوت واحد وفيه نوع تلحين وتغنى واخراج للكلمات الأذان عن أوضاعها العربية .

[ راجع الابداع ص ١٧٦ طبعة الاعتصام ]

(١١) بدعة المحمل : هي كسوة الكعبة الشريفة كانت تقدمها مصر كل عام للكعبة فكان يفتن بها الكثير من المظاهر البدعية والاحتفالات غير الشرعية .

ويبدو أن هذا الامر لم يكن خاصا بمصر فقد ذكره الامام جمال الدين القاسمي وهو من علماء الشلم في أوائل القرن الماضي - الرابع عشر الهجرى - في كتابه « اصلاح المساجد من البدع والعوائد » .

وذكر أن من البدع « ازدحام المتفرجين على المحمل في بعض المساجد » .

[ اصلاح المساجد ص ٢٤٢ ]

ثم توارثتها الأجيال ، وعتت الجماهير ، وصارت عندهم  
دينا ينكرون على من أنكره •

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة  
السيئة الى أولئك الذين قال الله فيهم « ولا تشتروا بآياتي  
ثمنا قليلا وإياي فاتقون » (١٢) • « ان الذين يكتُمون  
ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك  
ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة  
ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم • أولئك الذين اشتروا  
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار •  
ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وان الذين اختلفوا في  
الكتاب لفي شقاق بعيد » (١٣) والواقع أنه بمتابعة الهوى  
تكسح الأديان ويقتل كل خير ، والابتداع به أشد

---

(١٢) البقرة : ٤١

(١٣) البقرة : ١٧٤ : ١٧٦

أنواع الابتداع اثما عند الله وأعظم جرما على الحق ،  
فكم حرف الهوى من شرائع ، وبدل من ديانات ، وأوقع  
الانسان فى ضلال مبين •

### تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات :

ان الله جعل للعقول حدا تنتهى فى الادراك اليه ،  
ولم يجعل لها سبيلا الى ادراك كل شىء ، فمن الأشياء  
مالا يصل العقل اليه بحال • ومنها ما يصل الى ظاهر منه  
دون اكتناه • وهى مع هذا القصور الذاتى لا تكاد تتفق  
فى فهم الحقائق التى أمكن لها ادراكها ، فان قوى الادراك  
ووسائله تختلف عند النظر اختلافا كثيرا ، ولهذا كان  
لابد فيما لا سبيل للعقول الى ادراكه ، وفيما تختلف فيه  
الأنظار ، من الرجوع الى مخبر صادق ، يضطر العقل أمام  
معجزته الى تصديقه ، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد  
من عند الله العليم بكل شىء ، الخبير بما خلق ، وعلى هذا  
الأصل بعث الله رسله يبينون للناس ما يرضى خالقهم ،

ويضمن سعادتهم ويجعل لهم حظا وافرا في خيرى الدنيا والآخرة •

وقد شذّ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله ، وجعلوه حجة الله على عباده ، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله ، فرجعوا فى التشريع اليه وأنكروا فى النقل كل ما لم يعهد فى ادراكه ، ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصلا فى التشريع الالهى ، واستباحوا بعقولهم فيه ما لم يأذن به الله ، وما لا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه ، ولقد أعانهم على الابتداع فى العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه ، وزعموا أن هذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحكم ، وأنها داعية اليه ، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله •

وهذا هو الاستحسان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين ، وأنكروا على الآخذين به ومن ذلك

قول الشافعى : « الاستحسان تلذذ<sup>(١٤)</sup> ، ولو جاز لأحد الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب ، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعا » وقوله « ومن استحسَن فقد شرع ، ومعناه كما قال الريانى « أنه نصب من جهة نفسه شرعا غير الشرع ، وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق ، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التى صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان ، وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما الى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على ادراكه .

وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جريا وراء أن غيرها أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكليف ، وباستحسان العقل

---

(١٤) راجع الرسالة للإمام الشافعى باب الاستحسان وقد عقد الشافعى فى « الأم » فصلا بعنوان « ابطال الاستحسان » .

القاصر زيدته عبادات وكنيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصا على التقرب من الله (١٥) .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الفطن على عدم ادراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية اليه ، يترتب أيضا على ارادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح ، ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع في

---

(١٥) ومن ذلك ما يقوله بعض جهال المتصوفة من صلوات معينة في أيام معينة يقصدون بذلك زيادة التقرب الى الله عز وجل ، مع أن الله عز وجل سمى الرهبانية بدعة في قوله « ورهبانية ابتدعوها » وقد كان هؤلاء يقصدون بها زيادة التقرب الى الله بل قال بعض المفسرين : ان قوله تعالى « الا ابتغاء رضوان الله » راجع اليهم بمعنى أنهم ما كانوا يقصدون بهذه الرهبانية الا ابتغاء رضوان الله ومع كل ذلك كان هذا الامر بدعة .

[ راجع ابن كثير تفسير سورة الحديد ]

المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا في المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ؛ ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة في جنس ما يتعبد الله به ، وهذا تارة يكون بالحاق غير المشروع بالمشروع ؛ لأنه يزيد في المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التبعيد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التي لم يحرمها الله لأنه يزيد في الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحريز ، ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما (١٦) . وحسن جميع أفعال النبي صلى الله عليه

---

(١٦) روى البخارى ( ٣٥٦٠ ) عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد



وسلم على التعبد الذى يجب فيه التأسى مع أن كثيرا منها  
عادى لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسى (١٧) .

---

الناس عنه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه  
الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها » .

(١٧) من المحدثات التى حدثت فى هذا العصر اعتبار  
التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمور العادات  
نوعا من التزيد أو التشدد ، مع أن حقيقة التزيد والتشدد  
هى التزام أمور لم ترد فى الشرع ، أما الاقتداء به صلى  
الله عليه وسلم فى ملبسه ومأكله ومشربه وأشبابه  
ذلك فانه أمر مطلوب ان لم يكن على جهة الفرضية فهو على  
جهة الاستحباب الذى يثاب المرء عليه .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى فى تقديم مختصره  
لشمائل الترمذى : « اننى لأرجو مخلصا أن يكون هذا  
الكتاب هاديا للمسلمين جميعا الى التعرف على ما كان عليه  
نبينا صلى الله عليه وسلم من الخلق الكريم وما كان متحليا  
به من الشمائل الكريمة فيحملهم ذلك على الاهتداء بهديه  
والتخلق بأخلاقه والاقتباس من نوره فى زمن كاد كثير من  
المسلمين أن ينسوا قول الله تبارك وتعالى فيه لقد كان  
لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم

وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها

الأخر وذكر الله كثيرا » وفيهم بعض الخاصة من بعض الدعاة وغيرهم الذين زهدوا عن الالتساء به صلى الله عليه وسلم في كثير من هديه وأدبه كتواضعه في لباسه وهديه في طعامه وشرابه ونومه وصلاته وعبادته ، بل وجد فيهم من يزهد المتبعين لسنته في اتباعه صلى الله عليه وسلم في بعض ذلك كالاكل والشرب جالسا وتقصير الثياب الى ما فوق الكعبين ويعتبرون ذلك تشمدا ومنفرا لغير المسلمين عن الاسلام »  
١ . ه .

أقول : ثم انه كان من هدى سلفنا الصالح انهم كانوا يتأسون به صلى الله عليه وسلم في أموره العادية فقد روى البخارى ( ٥٣٨١ ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه . قال أنس : فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يتبع الدباء من حوالى القصعة . قال فلم أزل أحب الدباء من يومئذ . ورواه مسلم مع اختلاف في بعض الفاظه في كتاب الأشرية .

قال الامام ابن حجر في فتح البارى في شرح هذا الحديث : « فيه الحرص على التشبه بأهل الخير والاقتداء

الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج والتزام السنن والآداب كالالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما في قوله عليه السلام : « ما بال قوم

---

بهم في المطاعم وغيرها . وفيه فضيلة ظاهرة لانس لاقتفائه اثر النبي صلى الله عليه وسلم حتى في الاشياء الجبيلية وكان يأخذ نفسه باتباعه فيها رضى الله عنه » ١ . ه .

وقال ابراهيم بن هانئ : اختفى عندى أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ثم قال : اطلب لى موضعا حتى اتحول اليه . قلت لا آمن عليك يا أبا عبد الله . قال : اذا فعلت ذلك افدتك فائدة من العلم . فظنبت له موضعا فلما خرج قال نبي « اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار ثلاثة أيام ثم تحول . وليس ينبغي أن نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرخاء ونترك متابعتة في الشدة » . [ من كتاب الامام المتمعن أحمد بن حنبل للبهى الحولى ص ١١ ، المجلس الأعلى للتشؤون الاسلامية ] .

وبعد : فانه لا يصح بحال الإنكار على من اراد أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أموره العادية والمعيشية ولا يصح اعتبار من يفعل ذلك متشددا ولا مبتدعا والله اعلم .

يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله انى لأعلمهم بالله وأشدّهم خشية له « (١٨) ، وقوله عليه السلام : « لن يشاد الدين أحد الا غلبه » (١٩) وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » (٢٠) وقد رد النبي صلى الله عليه

---

(١٨) رواه البخارى ( ٧٣٠١ ) عن مسروق قال : قالت عائشة رضى الله عنها : صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه وتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واتى عليه ثم قال : ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ حواله انى أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية .

(١٩) روى البخارى ( ٣٩ ) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .

(٢٠) روى ابن جرير الطبرى فى قصة بقرة بنى اسرائيل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لو اخذوا ادنى بقرة لاكتفوا بها ولكنهم شدّدوا فشدد عليهم » .

قال ابن كثير : اسناد صحيح .

وسلم على ابن عمر (٢١) واليه ط الذين تقللوا عبادته صلى

(٢١) الذى فى الصحيحين انه عبد الله بن عمرو بن  
العاص وليس عبد الله بن عمر .

روى البخارى ( ٥٠٥٢ ) عن عبد الله بن عمرو قال :  
« أتكنى أبى امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها  
عن بعلاها ، فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطلنا فراشا  
ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناها . فلما طال ذلك عليه ذكر  
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال القنى به فلقيته بعد فقال :  
كيف تصوم ؟ قلت أصوم كل يوم ، قال وكيف تختم ؟ قلت  
كل ليلة ، قال صم فى كل شهر ثلاثة وأقرأ القرآن فى كل  
شهر ، قال قلت : أطيق أكثر من ذلك قال : صم ثلاثة  
أيام فى الجمعة قال : قلت أطيق أكثر من ذلك قال : افطر  
يومين وصم يوما ، قال قلت : أطيق أكثر من ذلك قال :  
صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم وأقرأ  
فى كل سبع ليال مرة فليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى  
الله عليه وسلم . وذلك أنى كبرت وضعفت . فكان يقرأ على  
بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذى يقرؤه يعرضه  
من النهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى  
افطر أياما وأحصى وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئا  
فإرق النبي صلى الله عليه وسلم عليه » .

ورواه مسلم بنحوه [ فى كتاب الصوم : باب النهى عن

صوم الدهر ] .

الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات (٢٢) .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات في العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله انسا يكون بال التزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل التقرب اليه محصورة فيما شرعه

---

(٢٢) روى البخارى ( ٥٠٦٣ ) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله والتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى .

وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك في البدعة والمخالفة  
وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

هذه الأسباب التي أوردناها هنا للابتداع قد أحاط  
بأطرافها وجمع أصولها حديث: «يحمل هذا العلم في كل خلف  
عدوله ، ينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل  
الجاهلين»<sup>(٢٣)</sup>، فتحريف المغالين يشير الى التعصب والتشدد،

---

(٢٣) رواه العقيلي في الضعفاء الكبير ( ٩/١ : ١٠ )  
باسناده عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة قالوا قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف  
عدوله ... وساق الحديث بتمامه .

وساقه باسناده أيضا عن أبي امامة قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : فذكره وأورده الهيثمي في مجمع  
الزوائد ( ١٤/١ ) وقال : عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر:  
مذكره ورواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي : كذبه  
يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه الى الوضع .

— قال السيوطي في تدريب الراوي ( ١ / ٣٠٢ :  
٣٠٣ ) رواه ابن عبد البر من طريق العقيلي .  
— قال السيوطي : والحديث من الطريق الذي أورده  
مرسل أو معضل .

واتتحال المبطلين يشير الى تحسين الظن بالعقل في الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير الى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها .

— وفي كتاب العلل للخلال أن أحمد سئل عن هذا الحديث فقيل له كأنه موضوع فقال لا بل هو صحيح . فقيل له ممن سمعته قال : من غير واحد قيل من هم ؟ قال حدثني به مسكين الا أنه يقول عن معان عن القاسم بن عبد الرحمن ومعان لا بأس به .

— قال العراقي : وقد ورد هذا الحديث متصلاً من رواية على وابن عمرو وجابر بن سمرة ، وأبى أمامة وأبى هريرة ، وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء وليس فيها شيء يةوى المرسل .

— وقال ابن عدى : ورواه الثقات عن الوليد بن مسلم عن ابراهيم العلوى ثنا الثقة من أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فذكره .

— وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية [ ٥ / ٣٣٧ ] فقال عنه : هذا الحديث مرسل واسنياده فيه ضعف والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عبالة كل من حمل العلم « ١ . هـ .



### الأسباب المفضية الى ذبوع البدعة :

يرجع ذبوع البدعة وانتشارها بين الناس الى أمرين  
شديدي الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة  
والنقص :

أولهما : اعتقاد العصمة في غير المعصوم •

والآخر : التهاون في بيان الشريعة على الوجه الذي  
به تقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم •

وكثيرا ما ترى الأول فيمن ينتسبون الى طرق  
التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئا من  
الأحوال التي تنافي الأحكام الشرعية ، فيعتقدون  
أنها من التشريع الذي خص الله به عباده المقربين ، وأن  
شيخهم لا يفعل الا حقا ، ولا يقول الا صدقا ، والفقه  
للعوم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه في كل ما يؤثر  
عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب الى الله الموصل  
الى رضاه •

وتراه أيضا في أتباع الفقهاء يقرؤون عنهم في كتبهم،  
ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم  
وان وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى  
أئمتهم ، وقد أفرط الناس في رفع مستوى العلماء ومؤلفي  
الكتب بالنسبة الى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقد  
كل فريق أن رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : انه لو كان  
الدين غيره لما استقر على توالى العصور ، ولأنكره من  
قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لا حق لنا في التمسك  
بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون في الكتب ،  
لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح  
أن نعدل اليه وتترك ما ألفناه من العبادة وكيفيةها •

سرى ذلك في عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا  
السنة ، مبررين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب  
الابتداع لتكون سبيلا الى ترويج بدعهم وهى « من قلد  
علما لقي الله سالما » ، وقد فات هؤلاء أن التقليد  
المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف الى الحق ، والرجوع

اليه بيينة ، وأنه ما من أمام الا حذر من الاتباع وترك  
الحديث اذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله  
في كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف  
أصلا في الدين يرجع اليه دون سواء حتى ردوا برهان  
الرسالة وحجة القرآن بقولهم : « انا وجدنا آباءنا على  
أمة وانا على آثارهم مقتدون » (٢٤) وفاتهم أيضا أن  
التعصب لرأى العلماء الى هذا الحد نوع من اتخاذ غير  
الله ربا . وكان ذلك سنة أتباع الأبحار والرهبان ،  
« اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢٥)  
وفاتهم أن الاجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع  
يجب اتباعه ، ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى  
الاجماع الذى عد من مصادر التشريع الاسلامى ، فقد  
يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة  
اذا أئفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميع

---

(٢٤) الزخرف : ٢٣

(٢٥) التوبة : ٣١

الطبقات في المساجد والمجتمعات وأندية العلماء من اجماع الأمة التي ورد أنها لا تجتمع على ضلالة ، فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالفوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد واحياء الليالي والاستتجار على الختمات والتهاليل والتساييح الى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء \*

أما الثاني وهو تهاون العلماء في بيان الشريعة فائمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل اليهم (٢٦) ، وقد أهمل جمهور العلماء من

---

(٢٦) يقول عز وجل : « واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » .  
آل عمران : ١٨٧

زمن بعيد هذا الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدان - أهملوه - اما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، واما مجاملة للعظماء والحكام ، واما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التى يبررون بها احجامهم عن البيان ، واما تواكلا نظرا الى أن البيان واجب كفائى قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين •

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الالف والعادة العلماء لهم فيما يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع الى ما تركوا من السنن شاقا على من يحاوله ؛ لأنهم يرونه احداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة الا بالله (٢٧) •

---

(٢٧) عن حذيفة رضى الله عنه انه أخذ حجرتين فوضع احدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، ترك البيان وإهمال  
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكافحة  
 البدع كلما ذر قرنها ، والعمل على حفظ السنن كلما هبت  
 عليها ريح عاصف ، ورجو أن يكون عن هذا ما ينهنا  
 إلى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه ، هدايا الله إلى  
 صراطه المستقيم •

---

ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ما نرى  
 بينهما من النور الا قليلا قال والذي نفسى بيده لتظهرن  
 البدع حتى لا يرى من الحق الا قدر ما بين هذين الحجرين  
 من النور والله لتفشون البدع حتى اذا ترك منها شيء قالوا  
 تركت سنة « ١ . ه .

ذكره الشاطبي في الاعتصام ( ١ / ٥٤ ) وعزاه  
 لابن وضاح :

## الفصل الثاني

### في مضار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع ولا تتعداه الى غيره لكان الأمر وسهل الخطب ؛ ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أنبأه في العمل بالبدعة ، ومنها ما يصيب الدين نفسه ، ومنها ما يصيب الأمة التي وقع الابتداع في دينها •

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون الا لله وحده • وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة ، ولذلك يقوم بالدعوة اليها والحث عليها • وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذي يتعبد الناس بأمره ونهيه ، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون الا لله ، قصده المبتدع أم لم يقصده •

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأجبـار  
والرهبان من أهل الكتاب ، ونعى القرآن الكريم على  
الفريقين مسلكهم ، وقص علينا شيئاً مما شرعه المشركون  
بغير حق . قال تعالى في سورة الأنعام : « وقالوا هذه  
أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم ، وأنعام  
لا يذكرن اسم الله عليها افتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا  
يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا  
ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ،  
سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليهم » (٢٨) وقال تعالى في

سورة النحل : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب  
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين  
يفترون على الله الكذب لا يفلحون » (٢٩) .

وقد ورد في تفسير قوله تعالى : « اتخذوا أجبـارهم

---

(٢٨) الأنعام : ١٣٨ - ١٣٩

(٢٩) النحل : ١١٦



ورهبانهم أربابا من دون الله» (٣٠) ، أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون (٣١) ، وهذه

### (٣٠) التوبة : ٣١

(٣١) روى الامام أحمد الترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه انه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطائها فرجعت الى أخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدى الى المدينة وكان رئيسا في قومه طيء وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدى صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) قال فقلت : أنهم لم يعبدوهم فقال « بلى أنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فأتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » الحديث .

وفي رواية الترمذى ( ٣٠٩٥ ) : عن عدى بن حاتم قال : فذكر الحديث وفيه « وفي عنقي صليب من ذهب » وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث .

الربوبية هي ربوبية التشريع التى تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحرير •

ولا شك أن مسلك المبتدع فى تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعى ، وفى دعوة الناس الى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا يكون الا لله •

ولهذا كان المبتدع فى هذه الناحية واضعا نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذى لا يكون الا لله ، وواضعا نفسه موضع من يرى أن الحدود التى رسمها الله ليتقرب بها العباد اليه اما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص ، واما أن محمدا صلى الله عليه وسلم قصر فى التبليغ وحجز عن أمته بعض ما يقربها الى الله • وفى هذا المعنى قال الامام مالك رضى الله عنه : من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : « اليوم أكملت

لكم دينكم» (٢٢) فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً (٢٣) .

« وجاء في كتاب عمر بن عبد العزيز الى عدي ابن أرطاة عليك بالسنة فان السنة انما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فانهم على علم وتقوى » (٢٤) .

### (٣٢) المائدة : ٣

(٣٣) .أورد هذا القول الامام الشاطبي في الاعتصام من رواية ابن الماجشون عن مالك رحمه الله .

[ الاعتصام ١ / ٢٨ ]

(٣٤) أورد هذا الاثر أيضا الامام الشاطبي في الاعتصام حيث ذكر أن عدي بن أرطاة كتب الى عمر بن عبد العزيز يستشير في بعض القدرية فكتب اليه : اما بعد فاني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في امره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فان السنة انما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحق والتعمق فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم

فاذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن الا لخير  
الناس في دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه  
بموقفه من البدعة التي عرف الشارع ما فيها من خطأ  
وزلل وحمق •

واذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيء من  
هاتين الناحيتين : « اغتصاب حق الله في التشريع ،  
والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم  
التمام ، » فانه من جهة ثالثة يوقع الناس في اعتقاد ان  
ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبيس الذي أضل به

---

فانهم على علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا ، وهم كانوا على  
كشف الامور اقوى وبفضل كانوا فيه اخرى فاثن قلثم امر  
حدث بعدهم ما أحدثه بعدهم الا من اتبع غير سننهم ،  
ورغب بنفسه عنهم ، انهم لهم السابقون فلقد تكلموا منه  
بما يكفى ، ووصفوا منه ما يشفى فما دونهم مقصر وما  
فوقهم محسر ، لقد قصد عنهم آخرون فقلوا وانهم بين ذلك  
لعلى هدى مستقيم » •

( المصدر السابق ١ / ٢٩ )

كثيرا من أهل الكتاب وصرفوا به كثيرا من الناس عن سبيل الهدى والرشاد : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » (٣٥) ، « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثأنى عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك مما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد » (٣٦) •

ومن هنا كان المبتدع ضالاً عليه وزر عمله ، ومضلاً عليه أوزار الذين اتبعوه في بدعته • قال تعالى : « لبحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم » (٣٧) وفي الصحيحين ( ومن امن سنة سيئة

(٣٥) آل عمران : ٧١

(٣٦) الحج : ٨ - ١٠

(٣٧) النحل : ٢٥

كان عليه وزرها ووزر من غنل بها (٢٨) وقد أشار الى

(٢٨) الحديث لم أجده في البخارى ورواه مسلم  
 (كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) :  
 عن أبى عمرو جرين بن عبد الله رضى الله عنه قال كنا في  
 صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه  
 قوم عراه مجتأى النمار أو العباء منقلدى السيوف عامتهم  
 من مضر بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر  
 بلالا فاذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : « ايها الناس اتقوا  
 ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ... الى آخر الآية ان  
 الله كان عليكم رقيبا » والآية الأخرى التى فى الحشر « اتقوا  
 الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » تصدق رجل من ديناره  
 من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع نمره حتى قال :  
 ولو بشق تمرة فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه  
 تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين  
 من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : « من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر  
 من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ،  
 ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من  
 عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

ذلك الحديث ( وما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل ) (٣٩) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما الا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول في تحصيل قتل النفس التي تقتل ظلما لأن الاثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا وانما لأنه عمل ما الا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين واذا غاب عن المبتدع شيء من هذه المضار التي تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها فانه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على اماتة السنن ، فقد ثبت ان من السنة ترك البدعة فلا يمكن اقامة احدهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن

---

(٣٩) رواه البخارى ( ٧٣٢١ ) من حديث ابن مسعود مرفوعا بلفظ :

« ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل منها - وربما قال سفيان - من دمها لأنه سن القتل أولا » .

وروى مسلم نحوه ( كتاب القسامة . باب بيان اثم من سن القتل ) .

حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرتين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرتين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما الا قليلا ، قال : والذي نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق الا قدر ما بين هذين الحجرتين من النور<sup>(٤٠)</sup> . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتى على الناس من عام الا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن<sup>(٤١)</sup> .

وبهذه المعانى التى تلزم الابتداع فى الدين صحت الأحاديث فى رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب ، وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع

(٤٠) أورد هذا الأثر الشاطبى فى الاعتصام وعزاه لابن وضاح . [ الاعتصام ص ١ / ٥٤ ]

(٤١) أورد هذا الأثر الشاطبى أيضا فى الاعتصام وعزاه لابن وضاح .

[ المصدر السابق ١ / ٥٦ ]



واسترجع ثم قال : قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه  
فقليل له : يا أبا محمد ، أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟  
فقال : ليس في خلاف السنة رجاء ثواب (٤٢) .

والوجه فيه ظاهر ، فإن التقرب الى الله لا ينال  
الا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذى شرعه ، أما ما لم  
يشرعه من وسائل التقرب اليه فانه لا يثيب عليه (٤٣) .

---

(٤٢) أورده الشاطبى وعزاه للمبسوطه .

[ المصدر السابق ١ / ٨٣ ]

(٤٣) قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فى اقتضاء  
الصراط المستقيم ما يفيد أن اهل البدع قد يثابون على  
نيتهم أن كانت حسنة فهو يقول بعد كلام له عن الأعياد  
المبتدعة : « ... وكذلك ما يحدثه بعض الناس اما مضاهاة  
للنصارى فى ميلاد عيسى عليه السلام واما محبة للنبي صلى  
الله عليه وسلم وتعظيمهما له ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة  
والاجتهاد لا على البدع : من اتخاذ مولد النبي صلى الله  
عليه وسلم عيداً ... » .

[ اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٤ ]

وصحت الأحاديث أيضا في استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عليه السلام : ( من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ) (٤٤) قال الشاطبي في الاعتصام ؛ « وقد

---

(٤٤) روى البخارى ( ٧٣٠٦ ) من حديث عاصم قال : قلت لأنس : أحرمت رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ؟ قال نعم ما بين كذا الى كذا لا يقطع شجرها من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . قال عاصم فأخبرنى موسى بن أنس انه قال : « أو آوى محدثا » .

وروى مسلم [ كتاب الأضاحي : باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ] من حديث أبو الطفيل عامر بن وائلة قال : كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر اليك ؟ قال فغضب وقال : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر الى شيئا يكتمه الناس غير أنه قد حدثنى بكلمات أربع قال : فما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : قال لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض » .

اشترك صاحب البدعة في اللعنة مع من كفر بعد ايمانه ،  
وقد شهد أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا شك فيها  
وجاءه الهدى من الله والبيان الشافى ، وذلك قوله تعالى :  
« كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول  
بحق - الى قوله - أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله  
والملائكة والناس أجمعين ... » الخ (٤٥) .

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه في  
كتابه وذلك قوله تعالى : « ان الذين يكتُمون ما أنزلنا  
من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب  
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... » الخ (٤٦) .

فتأملوا المعنى الذى أشرك المتدع فيه مع هاتين  
الفرقتين ، وذلك مضادة الشارع فيما شرع ؛ لأن الله أنزل  
الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية

---

(٤٥) آل عمران : ٨٦ - ٨٧

(٤٦) البقرة : ١٥٩

ما يمكن من البيان فضاها الكافر بأن جحدها جحدا ،  
 وضادها كاتمها بنفس الكتمان ، لأن الشارع يبين ويظهر ،  
 وهذا يكتّم ، ويخفى ، وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة  
 لترك ما بين واخفاء ما ظهر •

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب ،  
 لأنهم يعبدون الله بالبدع التي لم يقرها ديننا ولم يجعلها  
 طريقا للعبادة ، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة  
 من السنن التي جاء بها الرسول وحث عليها • ولهم بذلك  
 كفل من العمل في هدم الذين عليه يجازون وبه يعاقبون ،  
 وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا  
 بأباطيل المبتدعين ، وألقوا بأنفسهم في أحضانهم ، وقد  
 كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا  
 إليه ، قال تعالى في سورة البقرة : « وقال الذين اتبعوا  
 لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله  
 أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » (٤٧) ،

وقال في سورة الأحزاب : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » (٤٨) .

أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداء فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله . والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثاني سبب من أسباب الاعراض عنها وعدم احترامها ، ويتجلى هذا في بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا بأباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين في النفوس وتصبح هي الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة . وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى

القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التي دخلت البدع في دينها فهو القاء العداوة والبغضاء بين أهل الاسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته ، والسنة لا بد لها من طائفة تيينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعة وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض ، قالت عائشة : ألا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب (٤٩) وتلت قوله تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم

---

(٤٩) قال الشاطبي في الاعتصام : وعن الحسن قال خرج علينا عثمان بن عفان رضى الله عنه يوما يخطبنا فقطعوا عليه كلامه فتراموا بالبطحاء حتى جعلت ما أبصر أديم السماء : قال سمعنا صوتا من بعض حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقبل هذا صوت أم المؤمنين قال فسمعتها وهي تقول : ألا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب وتلت : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » .

وكانوا شيعة لست منهم فى شىء ، انما أمرهم الى الله ثم  
ينبئهم بما كانوا يفعلون » (٥٠) •

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام  
قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا  
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم  
تتقون » (٥١) •

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم خط خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ،  
ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال :  
وهذه السبل ليس فيها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ،

---

قال القاضى : اسماعيل : أحسبه يعنى بقوله أم  
المؤمنين أم سلمة ان ذلك قد ذكر فى بعض الحديث وقد  
كانت عائشة فى ذلك الوقت حاجة » ١ . ه .

[ الاعتصام ١ / ٣٨ ]

(٥٠) الانعام : ١٥٩

(٥١) الانعام : ١٥٢

ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (٥٢) .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » (٥٣) .

(٥٢) روى الامام احمد ( ٤٦٥/١ ) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وفى رواية لاحمد ( ٣٩٧/٣ ) : هذا سبيل الله عز وجل ورواه ابن ابي عاصم فى كتاب السنة ( ١٧ ) .

قال الألبانى فى تخريج كتاب السنة : اسنده حسن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عاصم وهو ابن أبى النجود وهو حسن الحديث ، ومن طريقه أخرجه ابن نصر فى السنة ( ٥ ) والحاكم ( ٣١٨/٢ ) وقال : صحيح الاسناد . ووافقه الذهبى ١ . هـ من ظلال الجنة فى تخريج السنة للألبانى ١ / ١٣ .

(٥٣) آل عمران : ١٠٥



وقد عنى القرآن كثيرا بتحذير الأمة من التفرق  
والاختلاف لأنه الداء الويل الذى يسرع بالفناء الى الأمم .  
وبعد فهذا موجز للقول فى بيان الأضرار المترتبة  
على الابتداع نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن  
خطة الابتداع ، ويدفع بهم الى تعرف السنن والتمسك  
بها .

هدانا الله الى صراطه المستقيم ،،،

**محمود شلتوت**





